بلال بن أبي بردة

أعـــلام القضـــاء

بلال بن أبي بردة - رحمه الله -

أبو بردة عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري؛ كان أبوه صاحب رسول الله ﷺ، قدم عليه من اليمن في الأشعريين، فأسلموا. وأبو بردة كان قاضياً على الكوفة، وليها بعد القاضي شريح، وله مكارم ومآثر مشهورة.

وكان أبو موسى الأشعري تزوج في عمله على البصرة طنية بنت دمون، وكان أبوها رجلاً من أهل الطائف، فولدت له أبا بردة، وسماه أبو موسى عامراً، فلما شب كساه أبو شيخ ابن الغرق بردتين وغدا به إلى أبيه فكناه أبا بردة، فغلب عليه اللقب.

وكان ولده بلال قاضياً على البصرة، وهم الذين يقال في حقهم: ثلاثة قضاة في نسقٍ واحد؛ لأن أبا موسى ﷺ قضى لعمر ﷺ بالبصرة ثم قضى بالكوفة في زمن عثمان ﷺ. وبلال هذا هو ممدوح ذي الرمة وله فيه غر المدائح.

وكان بلال بن أبي بردة أمير البصرة وقاضيها. كان راوية فصيحاً أديبا. ولاه خالد القسري سنة ١٠٩ هـ فأقام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥ هـ فعزله وحبسه، فمات سجينا. كان ثقة في الحديث، ولم تحمد سيرته في القضاء.وكان يقول: إن الرجلين ليختصمان إلي فأجد أحدهما أخف على قلبي فأقضي له! وقد أكثر ذي الرمة الشاعر من مدحه ولما وقيل لذي الرمة: لم خصصت بلال بن أبي بردة بمدحك؟ قال: لأنه وطأ مضجعي، وأكرم مجلسي، وأحسن صلتي، فحق لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكري [1].

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٥.

حدث عن: أبيه، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وحذيفة ابن اليمان، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وآخرين.

حدث عنه: حفيده؛ أبو بردة يزيد بن عبد الله بن أبي بردة، وابنه؛ بلال بن أبي بردة الأمير، وثابت البناني، وقتادة، وبكير بن الأشج، وأبو إسحاق الشيباني، وابنه؛ سعيد بن أبي بردة، وطلحة بن يحيى، وحكيم بن الديلم، وأبو يوسف، وحميد بن هلال، وأبو حصين، وعبد الأعلى بن أبي المساور، وخلق سواهم.

وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق.

وكانت وفاة أبي بردة في سنة ثلاث ومائة بالكوفة.

وكان بلال يخاف مرض الجذام، فوصف له السمن يستنقع به، فكان يقعد فيه ثم يبيعه؛ فترك أهل البصرة أكل السمن وشراءه إلا ممن كان يصنعه في بيته.

وكان بلال موصوفاً بحب الطعام واشتهر بنهمته على الطعام[1].

وفي ذلك يقول الحسن ﷺ: يتكى على شماله ويأكل غير ماله حتى إذا كظه الطعام يقول ابغوا لي هاضوماً. وقيل: وهل تهضم إلا دينك؟[2].

و يحكى عن قصاب[1] أنه قال: جاءني رسول بلال سحراً فأتيته

(١) طبقات ابن سعد ٦ / ٢٦٨، طبقات خليفة ٦٨، تاريخ خليفة ٣٣٠، الجرح والتعديل ٦ / ٣٢٥، تاريخ ابن عساكر ٣٧١، ٣٩٢، وفيات الأعيان ٣ / ١٠، ١٢، تهذيب الكمال ١٥٧٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٩٥، تذهيب التهذيب ٤ / ١٩٩، تاريخ الإسلام ٤ / ٢١٦، دول الإسلام ٧٣، العبر ١ / ١٢٨، الوافي بالوفيات ٤ / ١٤٢، تهذيب التهذيب ١٢ / ١٨، النجوم الزاهرة ١ / ١٩٩، ٢٥٢، خلاصة تذهيب الكمال ٤٤٣، تهذيب ابن عساكر ٧ / ١٦٨، سير أعلام النبلاء، ٥ /٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١/٢٩٠.

(١) جزار.

وبين يديه كانون عليه جمر، وفي داره تيس ضخم، فقال: دونك هذا التيس فاذبحه، فذبحته وسلخته، فقال: أخرج هذا الكانون إلى الرواق، فأخرجته، فقال: دونك اللحم فكبيه. ودعا بخوان، فجعلت أشرح اللحم وألقيه على الجمر، فإذا استوى قدمته إليه فيأكل، حتى لم يبق من التيس إلا العظام، ثم دعا بنبيذ فشرب خمسة أقداح، وقد بقيت قطعة من اللحم على الجمر، فقال: كلها فأكلتها، وقال: اسقوه. فناولوني قدحاً من النبيذ فشربته. وجاءت جارية ببرمة عليها قصعة فيها ناهضان، ودجاجتان وأرغفة، فأكل ذلك كله، ثم جاءت جارية أخرى معها قصعة مغطاة لا أدري ما فيها، فضحك إلى الجارية وقال: ويحك. ليس في بطني موضع لهذا الذي جئتني به، ولكن ضعي القصعة على رأسي، فضحكت الجارية ورجعت، فقال لي: الحق بأهلك. فرجعت وقد طلع الفجر، وأنا أجد دبيباً في رأسي من القدح الذي شربته [1].

وروي: أن بلالاً إنما قتله دهاؤه فقد روي أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج وكان يعذبه وكان كل من مات من الحبس رفع خبره إلى الحجاج فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله فقال بلال للسجان خذ مني عشرة آلاف درهم واخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض فلم يعرف الحجاج خبري وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعلي غناك أبداً فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى فقال: الحجاج مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى رآه هاته فعاد إلى بلال فقال اعهد قال وما الخبر قال: إن الحجاج قال كيت وكيت فإن لم أحضرك إليه ميتاً قتلني وعلم أني أردت الحيلة عليه ولا بد أن

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، ١٨١/٢، ٩٨/٥، ٧٠/٧، ١٤٢.

أقتلك خنقاً فبكى بلال وسأله ألاَّ يفعل فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى فأخذه السجان وخنقه وأخرجه إلى الحجاج، فلما رآه ميتاً وقال: سلمه إلى أهله فأخذوه وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه[1].

و كان بلال بن أبي بردة جلدا فحينما عزل عن القضاء أحضره يوسف بن عمر في قيوده لبعض الأمر وهم بالحيرة فقام خالد بن صفوان فقال ليوسف: أيها الأمير إن عدو الله بلالا ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ولا خلعت يدا من طاعة، ثم التفت إلى بلال فقال: الحمد لله الذي أزال سلطانك وهد أركانك وأزال جمالك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعصبية فقال بلال يا خالد إنما استطلت علي بثلاث هن معك على الأمير مقبل عليك وهو عني معرض وأنت مطلق وأنا مأسور وأنت في طينتك وأنا غريب فأفحمه.

وكان سبب ضرب بلال خالدا في ولايته أن بلالا مر بخالد في موكب عظيم فقال خالد: سحابة صيف عن قليل تقشع فسمعه بلال فقال والله لاتقشع أو يصيبك منها شيء من برد وأمر بضربه وحبسه[2].

وكان يقال أعرق الناس في القضاء بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ﷺ كان بلال قاضيا على البصرة وأبو بردة قاضيا على الكوفة وأبو موسى قاضيا لأمير المؤمنين عمر ﷺ[1].

(١) ابن الجوزي، الأذكياء، ص ٥٣.
(٢) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ٤٢٧/٢.
(١) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ٤٩٩/١.

مواقف من حياته - رحمه الله -:

فسكت أبو بردة على غيظ

و جلس أبو بردة يوماً يفتخر بأبيه ويذكر فضائله وصحبته لرسول الله ﷺ، وكان في مجلس عام وفيه الفرزدق الشاعر، فلما أطال القول في ذلك أراد الفرزدق أن يغض منه فقال: لو لم تكن لأبي موسى منقبة إلا أنه حجم رسول الله ﷺ لكفاه، فامتعض أبو بردة من ذلك ثم قال: صدقت، لكنه ما حجم أحداً قبله ولا بعده، فقال الفرزدق: كان أبو موسى والله أفضل من أن يجرب الحجامة في رسول الله ﷺ، فسكت أبو بردة على غيظ.

لا تقشع والله حتى يصيبك منها شؤبوب

وحكى غرس النعمة بن الصابئ في بعض تصانيفه أن أبا صفوان خالد بن صفوان التميمي المشهور بالبلاغة كان يدخل على بلال بن أبي بردة فيحدثه فيلحن في كلامه، فلما كثر ذلك على بلال قال له: يا خالد، تحدثني أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاءات - يعني النساء اللواتي يسقين الماء للناس - فصار خالد بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب، وكف بصره، فكان إذا مر به موكب بلال يقول: من هذا فيقال: الأمير، فيقول خالد: سحابة صيف عن قليل تقشع، فقيل ذلك لبلال فقال: لا تقشع والله حتى يصيبك منها شؤبوب [1]، وأمر به فضرب مائتي سوط [2].

لا يسعى بالناس إلا ولد زنى

جاء رجلٌ إلى بلال بن أبي بردة، فسعى برجل؛ فقال لصاحب

(١) شُؤبوب: وابلٌ من المَطر المُنهمِر.

(٢) وفيات الأعيان، ٣ /١١، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي، المحن، تحقيق د عمر سليمان العقيلي، نشر دار العلوم، السعودية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٣٤٠ - ٣٤٢، ٣٦٥.

شرطته: سل عنه، فسأل عنه فقال: أصلح الله الأمير، إنه ليقال فيه، فقال: الله أكبر، حدثني أبي عن جدي أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ:«لا يسعى بالناس إلا ولد زنى».

وعلى بابك أكثر من مائتين يدعون عليك!

دخل مالك بن دينار على بلال بن أبي بردة فقال له: يا أبا يحيى ادع الله لي، فقال له: ما ينفعك دعائي لك وعلى بابك أكثر من مائتين يدعون عليك!.

وإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه

قال محمد بن واسع: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له: يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه، عن النبي ﷺ قال:«إن في جهنم وادياً يقال له: هبهب، حقاً على الله أن يسكنه كل جبار». وإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه.

الحق بأهلك

قال المدائني: أرسل بلال إلى قصابٍ في جواره في السحر، قال: فدخلت عليه وبين يديه كانون، وفي صحن الدار تيسٌ ضخم، فقال: أخرج الكانون واذبح التيس واسلخه وكبب لحمه، ففعلت، ودعا بخوانٍ فوضع بين يديه، وجعلت أكبب اللحم، فإذا استوى منه شيء وضعته بين يديه يأكله حتى تعرقت له لحم التيس، فلم يبق إلا بطنه وعظامه، وبقيت بضعةٌ على الكانون فقال لي: كلها، فأكلتها، وجاءت جارية بقدر فيها دجاجتان وناهضتان، ومعه صحفةٌ مغطاة لا أدري ما فيها، فقال: ويحك ما في بطني موضع، فضعيها على رأسي، فضحك إلى الجارية وضحكت إليه ورجعت، ثم دعا بشرابٍ فشرب منه خمسة أقداح، وأمر لي منها بقدح فشربته، ثم قال: الحق بأهلك.

إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين

قال ابن سلام: أمر بلال بن أبي بردة بالتفريق بين رجلٍ وامرأته، فقالت: يا آل أبي موسى، إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين، أرادت ما حكم به أبو موسى الأشعري من التفريق بين عليِّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.

ما أبردك وأثقلك يا أبا علقمة!

قال أبو زيد الأنصاري: دعا ابن أبي بردة أبا علقمة، فلما دخل عليه قال: تدري لم أرسلت إليك؟ قال: لا، قال: لأسخر بك، فقال أبو علقمة: لئن فعلت ذلك لقد سخر أحد الحكمين بصاحبه، فلعنه ابن أبي بردة وأمر بحبسه، فمكث أياماً ثم أخرجه يوم السبت، فلما وقف بين يديه قال له: يا أبا علقمة ما هذا الذي في كمك؟ قال: طرف من طرف السجن، قال: أفلا تهب لنا منه؟ قال: هذا يوم لا نأخذ فيه ولا نعطي، فقال له، ما أبردك وأثقلك يا أبا علقمة! قال: أبرد مني وأثقل مني من كانت جدته يهوديةٌ من أهل السواد، وكانت لبلال أم أم يهودية من أهل سورا [1].

ألا جلست إليهم

قال أبو بهز بن أبي الخطاب السلمي: كان زريع أبو يزيد بن زريع على عسس بلال بن أبي بردة قال فقال له بلغني أن أهل الأهواء يجتمعون في المسجد ويتنازعون فاذهب فتعرف ذلك قال فذهب ثم رجع إليه فقال ما وجدت فيه إلا أهل العربية حلقة حلقة فقال له: ألا جلست إليهم حتى لا تقول حلقة حلقة قال أبو سليمان وإنما هي الحلقة حلقة القوم وحلقة القرط [1].

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الظراف والمتماجنين، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ١٠٠.

(١) تاريخ دمشق، ١٠ /٥١٣.

أنا مسكين لمن يعرفني

وقال المدائني: وقع بين العريان بن الهيثم النخعي وبين بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري كلامٌ بين يدي خالد بن عبد الله القصري وخالدٌ يومئذٍ على العراق - وكان متحاملاً على بلال، وكان العريان على شرطة خالد - فقال العريان لبلال: إني والله ما أنا بأبيض الراحتين، ولا منتشر المنخرين، ولا أروح القدمين، ولا محدد الأسنان، ولا جعدٍ قطط، فقال بلال: يا عريان أتعنيني بهذا؟ قال: لا والله، ولكن كلامٌ يتلو بعضه بعضاً. فقال بلال: يا عريان، أتريد أن تشتم أبا بردة وأشتم أباك، وتشتم أبا موسى وأشتم جدك، هذا والله ما لا يكون، فقال العريان: إني والله ما أجعل أبا موسى فداء الأسود، ولا أبا بردة فداء الهيثم، فمثلي ومثلك في ذلك كما قال مسكينٌ الدارمي:

أنا مسكينٌ لمن أنكرني ::: ولمن يعرفني جد نطق
لا أبيع الناس عرضي إنني ::: لو أبيع الناس عرضي لنفق [1]

وما حاجته إلى ذكره، وأنا عارف به؟

ويقال أن بلال بن أبي بردة أول قاض جار في القضاء فيروي أن رجلاً قدم إلى بلال رجلاً في دين له عليه، فأقر الرجل به، - وكان بلال يعني بالرجل - فقال المدعي: يعطيني حقي أو نحبسه بإقراره، قال القاضي: إنه مفلس، قال: لم يذكر إفلاسه، قال: وما حاجته إلى ذكره، وأنا عارف به؟ فإن شئت أحبسه فالتزم نفقة عياله، قال: فانصرف الرجل وترك خصمه وكان بلال معروفاً بالجور.

(١) تاريخ دمشق، ١٠ /٥١٧، أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي.
الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ١ / ٤٩٥، ٥٠٠

ليس هذا مما يرمى له الحصاة

عن أبي عمرو الضرير قال: أمر بلال داود بن هند أن يحضره عند تقدم الخصوم إليه، فإن حكم بخطأ رمي بحصاة فيرجع بلال قال: فتقدم إليه مولى له ينازع رجلاً، فحكم لمولاه ظلماً، فرمى داود بحصاة فلم يرجع، ثم بأخرى فقال له بلال: ليس هذا مما يرمى له الحصاة، هذا مولاي.

وهل ألقاني في الزنبيل غيرك؟

عن أبي زيد قال: لما حبس يوسف بن عمر صالح بن كريز في دين عليه، وجمع الحبس بينه وبين بلال، فقال له بلال: إن على العذاب رجل اسمه سالم، ويلقب بزنبيل، فإياك أن تقول له يا زنبيل فإنها تغضبه: وجعل يكرر زنبيل حتى علقها، فعذبه سالم، فنسي اسمه وكنيته، وجعل يقول: اتق الله يا زنبيل! فيزداد له ضربا، فلما خلى سبيله قال له بلال: ألم أنهك عن قول كلمة زنبيل؟ فقال له: وهل ألقاني في الزنبيل غيرك؟ أنا لم أعرف ما زنبيل لولاك، وما تدع شرك في سراء ولا ضراء[1].

قول مالك بن دينار لبلال بن أبي بردة

عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بردة وهو أمير البصرة فقال: أيها الأمير، إني قرأت في بعض الكتب: " من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أعزّ ممن أعزّني. أيا راعي السوء دفعت إليك غنماً سماناً سحاحاً فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاماً تتقعقع.

بين بلال بن أبي بردة وخالد بن صفوان

(١) العسكري، الأوائل، ص ١١٢ - ١١٣.

قال أبو عبيد ة: اختصم خالد بن صفوان مع رجل إلى بلال بن أبي بردة، فقضى للرجل على خالد، فقام خالد وهو يقول: سحابة صيف عن قليل تقشّع فقال بلال: أما إنهم لا تقشّع حتى يصيبك منهم شؤبوب برد. وأمر به إلى الحبس، فقال خالد: علام تحبسني؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة. فقال بلال: يخبرك عن ذلك بابٌ مصمت وأقيادٌ ثقال وقيّمٌ يقال له حفص.

ابن طرنوبة

عن الأصمَعيّ قال: كان عيسى بنُ عُمَر لا يَدَعُ الإعرابَ لشيء. وخاصم إلى بلال بن أبي بردةَ في جارية اشتراها مُصَابةً، فقال: لأن يذهبَ بعضُ حَق هذا أحبّ إليه من أن يَلْحَنَ؛ فقال له: ومَن يعلم ما تقول. فقال: ابن طرنوبة.

طعام عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر

وعن الجارود بن أبي سبرة قال: قال لي بلال بن أبي بردة: أتحضر طعام هذا الشيخ؟ - يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر -؛ فقلت: أيّهاً والله؛ فقال: حدثني عنه. فقلت: نأتيه وكان سكّيتاً، إن حدثنا أحسن الحديث، وإن حدّثناه أحسن الإستماع، فإذا حضر الغداء جاء خبّازه فمثل بين يديه؛ فيقول: ما عندك؟ فيقول: بطّةٌ بكذا، ودجاجةٌ بكذا وكذا. قال: وما يريد بذاك؟ قلت: كي يحبس كلّ إنسان نفسه إلى ما يشتهي، فإذا وضع الخوان خوّى تخوية [1] الظليم [2] فما له إلا موضع متّكئه فيجدّ ويهزل، حتى إذا رآهم قد فتروا وكلّوا أكل معهم

(١) وخَوَى خَوىً، وخَواءً: تتابع عليه الجُوع. وتَخْوِيةُ خَمُصَتْ بُطونُها، والمقصود جاع جوع.

(٢) الظليم هو الذكر من النعام.

الجائع المقرور حتى ينشّطهم بأكله [1].

ما العروب من النساء؟

عن شعيب بن صحير قال: قال بلال بن أبي بردة لجلسائه: ما العروب من النساء؟ [2] قال: فماجوا؛ وأقبل إسحاق بن عبد الله بن الحارث النوفلي، فقال: قد جاءكم من يخبركم، فسألوه، فقال: الخفرة [3] المتبذلة [4] لزوجها، وأنشد:

يعرين عند بعولهن إذا خلوا ::: وإذا هم خرجوا فهن خفار [5]

سابق الشعراء والمصلّي والثّالث والرّابع [6]

قال الأصمعيّ: قال بلال بن أبي بردة لجلسائه ذات ليلة: خبّروني بسابق الشعراء والمصلّي [7] والثّالث والرّابع. فسكتوا. ثم قالوا له: إن رأى الأمير أصلحه الله أن يخبرنا بذلك فعل. قال: سابق الشعراء قول المرقّش:

من يلق خيراً يحمد النّاس أمره ::: ومن يغو لا يعدم على الغيّ لائماً

والمصلّي قول طرفة:

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص ٢٢، ٣٣، ١٩٨، ٣٥١.

(٢) العروب من النساء هي المَرْأة المُتَحَبِّبة إلى زَوْجِها أو العاشِقَةِ لَهُ أو المُتَحَبِّبَةِ إليه المُظْهِرةِ له ذلك.

(٣) الخَفِرَةُ الطَّويلَةُ السُّكوتِ الخافِضةُ الصَّوْتِ المُتَسَتِّرَةُ.

(٤) التبذل يقصد به التبرج والتزين للزوج.

(٥) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٢ / ٥٩.

(٦) هذه الأسماء مقتبسة من أسماء الخيل في السباق فأولها المجلى وهو السابق والميرز أيضا ثم المصلي وهو الثاني ثم المسلي وهو الثالث ثم التالي وهو الرابع ثم المرتاح وهو الخامس ثم العاطف وهو السادس ثم الحظي وهو السابع ثم المؤمل وهو الثامن ثم اللطيم وهو التاسع ثم السكيت وهو العاشر.

(٧) المصلى من خيل السباق الذي يتلو السابق ويستعار للإنسان إذا كان تاليا للأول في أي عمل كان.

ستبدي لك الأيّام ما كنت جاهلاً ::: ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

والثّالث قول النّابغة:

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه ::: على شعث، أيّ الرّجال المهذّب؟

والرّابع قول القطاميّ:

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته ::: وقد يكون مع المستعجل الزّلل [1]

إلى الله إلى الله

ودخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات وفيه وهو يقول

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي ::: إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب

البيتين فقال بلال: إلى الله إلى الله [2].

فقد أكثر الله لك منه

قال الأصمعي: دخل درست بن رباط الفقيمي على بلال بن أبي بردة وهو في الحبس فعلم بلال أنه شامت به فقال بلال: ما يسرني بنصيبي من الكره حمر النعم فقال درست فقد أكثر الله لك منه.

فلا تتشاغل به واقصد بحجتك

وقال الأصمعي خاصم عيسى بن عمر النحوي الثقفي رجلا إلى بلال بن أبي بردة فجعل عيسى يشبع الأعراب وجعل الرجل ينظر إليه فقال له بلال: لئن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من ترك الأعراب فلا تتشاغل به واقصد بحجتك [1].

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٢ / ٥٩، ٤ / ٢٣٠، ٤٣٣، ٣٦٧/٥، ١٢٠/٦، ٢٥٦.
(٢) أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ١٦٩، ٦ / ١٩٨، ٣٥٨/١٠، ٣٦٥، ٣٨٧، ٣٦/١٨، ٢٤ / ١٧٨.
(١) أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب

قاتله الله!

المدائني قال: كان بلال بن أبي بردة ملازماً لباب خالد بن عبد الله القسري، فكان لا يركب خالد إلا رآه في موكبه، فبرم به، فقال لرجل من الشرط: إئت ذلك الرجل صاحب العمامة السوداء فقل له: يقول لك الأمير: ما لزومك بابي وموكبي! إني لا أوليك ولاية أبداً. فأتاه الرسول فأبلغه. فقال له بلال: هل أنت مبلغ عني الأمير كما بلغتني عنه؟ قال: نعم. قال: قل له: والله لئن وليتني لا عزلتني. فأبلغه ذلك. فقال خالد: قاتله الله! إنه ليعد من نفسه بكفاية. فدعاه فولاه [1].

إنما استعرته من رجل من الأشعريين

عُرض على بلال بن أبي بردة الجند، فمر به رجل من بني نمير معه رمح قصير، فقال له بلال: يا أخا بني نمير، ما أنت كما قال الشاعر:

لعمرك ما رماح بني نمير ::: بطائشة الصدور ولا قصار

فقال أصلح الله الأمير، ماهو لي، إنما استعرته من رجل من الأشعريين [1].

أتانا بدينه يطلب دنيا لا تبقى له

سمعت القاضي أبا حامد يقول: دخل بلال بن أبي بردة مسجد دمشق ولزم سارية، وكان يحسن صلاته وتسبيحه حتى عرف بهديه، فرآه عمر ابن عبد العزيز فهم بأن يجعل إليه من أمور المسلمين شيئاً فقال له خادم: يا أمير المؤمنين، في الأناة خير كثير، وفي العجلة

- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨، ١/١٩٧، ٣٢٢.

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١ /٢٣.

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، ٢/١٨١، ٥/٩٨، ٧/٧٠، ١٤٢.

ندم، فأرسلني إليه واسألني عنه أعرض عليك ضميره، فإن كان على ما تحلى به في ظاهره كنت من تقديمه وتوليته على يقين، وإن كان بخلاف ذلك كفيت نفسك الاهتمام به، والمسلمين الفتنة، فقال له عمر: خذ فيما ألهمك الله، فجاء الخادم إلى بلال بن أبي بردة وصلى بجنبه، وسلم عليه وأنسه، وأخذ في شجون الحديث يستنزله، وألقى إليه في عرض الحديث ذكر الولاية، وعرفه ما فيها من العز في الدنيا وعرض الجاه ومعونة المسلمين، فقبل ذلك بلال وهش له، فقال الخادم: فما لي إن شرعت في ذلك؟ قال بلال: عشرة آلاف درهم، فوافقه وانصرف إلى عمر وعرفه الحال وحكى الصورة، فقال عمر: لحاه الله، أتانا بدينه يطلب دنيا لا تبقى له[1].

فإما عطاء جزيل، أو رد جميل

أقام رجل بباب بلال بن أبي بردة شهراً لا يصل إليه، فكتب إليه رقعة وتلطف حتى ولصلت، فقرأها بلال وتبسم، فقيل له في ذلك فقال: ما أرفق كاتبها، قيل: ما كتب؟ قال: كتب: حسن الآمال وثناء الرجال وقفاني عليك، والصبر مع العدم لون من ألوان الخرق والحرمان، ومنتجع الكرام مراح الأحرار، فإما عطاء جزيل، أو رد جميل؛ فوجه إليه بعشرة آلاف درهم.

بلال بن أبي بردة يبحث عن حتفه بكفه

قال المحسن: وقد روي قديماً مثل هذا: أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج، وكان يعذبه.

و كان كل من مات في الحبس، رفع خبره إلى الحجاج، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله.

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٨٤/١، ٢١/٢.

فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم، وأخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي، هربت في الأرض، فلم يعرف الحجاج خبري، وإن شئت أن تهرب معي، فافعل، وعلي غناك أبداً.

فأخذ السجان المال، ورفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج: مثل هذا، لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه، هاته. فعاد إلى بلال، فقال: أعهد، قال: وما الخبر؟

قال: إن الحجاج قال: كيت وكيت، فإن لم أحضرك إليه ميتاً، قتلني، وعلم أني أردت الحيلة عليه، ولا بد أن أقتلك خنقاً.

فبكى بلال، وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق، فأوصى وصلى، فأخذه السجان، وخنقه، وأخرجه إلى الحجاج ميتاً.

فلما رآه ميتاً، قال: سلمه إلى أهله.

فأخذوه، وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم، ورجعت الحيلة عليه[1].

من كلامه – رحمه الله –:

- كان بلال بن أبي بردة يقول: يا معشر الناس، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون[1].

- وقال بلال بن أبي بردة: رأيت عيش الدنيا في ثلاثة: امرأة تسرك إذا نظرت إليها، وتحفظ غيبك إذا غبت عنها؛ ومملوكٌ لا تهتم بشيءٍ معه وقد كفاك جميع ما ينوبك، فهو يعمل على ما تهوى، كان

(١) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ٣٤٦.
(١) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص ١٨٦.

قد علم ما في نفسك؛ وصديقٌ قد وضع مؤنة الحفظ عنك فيما بينك وبينه، فهو لا يتحفظ في صداقتك ما يرصد به عداوتك، يخبرك بما في نفسه، وتخبره بما في نفسك [1].

- إن الله جواد لا يبخل وصدوق لا يكذب ووفي لا يغدر وحليم لا يعجل وعدل لا يظلم. وقد أمرنا بالجود ونهانا عن البخل وأمرنا بالصدق ونهانا عن الكذب وأمرنا بالحلم ونهانا عن العجلة وأمرنا بالعدل ونهانا عن الظلم وأمرنا بالوفاء ونهانا عن الغدر.

فلم يأمرنا إلا بما اختار لنفسه ولم يزجرنا إلا عما لم يرضه لنفسه. وقد قالوا بأجمعهم: إن الله أجود الأجودين وأمجد الأمجدين كما قالوا: أرحم الرحمين وأحسن الخالقين. وقالوا في التأديب لسانليهم والتعليم لأجوادهم: لا تجاودوا الله فإن الله - جل ذكره - أجود وأمجد. وذكر نفسه - جل جلاله وتقدست أسماؤه - فقال:{ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ } [البقرة: ١٠٥]، و:{ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} [غافر: ٣]، وقال:{ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ } [الرحمن: ٢٧]. وذكروا النبي ﷺ فقالوا: لم يضع درهماً على درهم ولا لبنة على لبنة. وملك جزيرة العرب فقبض الصدقات وجبيت له الأموال ما بين غدران العراق إلى شحر عمان إلى أقصى مخاليف اليمن. ثم توفي وعليه دين ودرعه مرهونة. ولم يسأل حاجة قط فقال: لا. وكان إذا سئل أعطى وإذا وعد أو أطمع كان وعده كالعيان وإطماعه كالإنجاز [1].

* * *

(١) تاريخ دمشق، ١٠ /٥١٣.

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البخلاء، تحقيق: أحمد العوامري بك - علي الجارم بك، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ١/ ١٢٩ - ١٣٠، ٢ /٨٦، ٩٥.